ابن آجروم ومذهبه النحوى

د. عصام عبدالرحيم محمد
كلية الآداب بسوهاج
قسم اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين: سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فموضوع هذا البحث: (ابن آجروم ومذهبه النحوى)

وابن آجروم من علماء النحو الذين عاشوا فى أواخر القرن السابع الهجرى، وأوائل القرن الثامن الهجرى (٦٧٢ -٧٢٣هـ، وقد اشتهر بمصنفه:" المقدمة الآجرومية فى مبادىء العربية"، الذى ذاع صيته وعم نفعه، وبوأ صاحبه مكانة رفيعة فى الدرس النحوى، على الرغم من بساطته، إذ لا يعدو كونه مقدمة فى النحو وضعت للمبتدئين بأسلوب سهل موجز. وخلال إطلاعى على تراجم بعض النحاة فى كتاب "بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة " لجلال الدين السيوطى، وجدت فى حديثه عن ابن آجروم يقول (٢٣٨/١) "استفدنا من مقدمته انه كان على مذهب الكوفيين فى النحو، لأنه عبر بالخفض، وهو عبارتهم، وقال: الأمر مجزوم وهو ظاهر فى انه معرب وهو رأيهم، وذكر فى الجوازم كيفما والجزم بها رأيهم وأنكره البصريون فتفطن" وقد أثار فى نفسى هذا الحكم رغبة ملحة فى معرفة هذا النحوى الكوفى المتأخر، ودراسة مذهبه، ووجهته العلمية، لا سيما أنه من النحاة الذين لم يحظوا بدراسات متخصصة تكشف عن شخصياتهم وتبين آرائهم لندرة كتبه المتاحة، كما أننى أحسست أن الحكم بكوفيته يحتاج إلى دقة وبيان وما يؤيده من الأدلة العلمية. فمعنى أنه كوفى انه يؤيدهم، ويسير معهم، ويستمد من أصولهم، ويتكلم بمصطلحاتهم، ويذهب مذهبهم فى المسائل التى كان فيها خلاف بينهم وبين البصريين، فقمت بدراسة مقدمته دراسة تحليلية، وبحثت فى جانبين يتعلقان بإثبات وجهته النحوية، هما: المصطلحات النحوية التى كان فيها خلاف بين المذهبين: الكوفى والبصرى،

والمسائل النحوية التى اختلف فيها المذهبان أيضا. فتقرر لى عين يقين ميله إلى الجانب البصرى، إذا كان يستعمل مصطلحاتهم، ويذهب مذهبهم فى كثير من المذاهب الخلافية وقد جاءت الدراسة فى ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتفقوها خاتمة تتلوها الفهارس. تحدثت فى المبحث الأول عن حياته، وما يتصل بها من حيث الاسم، والمولد، والنشأة، والمكانة العلمية، وتاريخ الوفاة , ثم تحدثت فى المبحث الثانى عن مصطلحاته التى كان يستخدمها فى مقدمته، وفى المبحث الثالث ذكرت موقفه من المسائل الخلافية التى كانت بين المذهبين، أما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها أثناء البحث، ثم أتبعتها بفهارس المصادر والمراجع وأتمنى أن تضيف هذه الدراسة إلى المكتبة النحوية مادة جديدة يستفاد منها فى بناء جديد. و واسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا، ويوفقنا فى جميع أمورنا، فمنه العون، وإليه المرجع، وعليه التوكل، وله الأمر من قبل ومن بعد (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا).

المبحث الأول: حياته

ابن آجروم هو[١]: أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجىّ المغربى، المالكى ، المعروف بابن آجروم -بفتح الهمزة الممدودة ، وضم الجيم ، والراء المشددة وهو من أسرة تنتسب إلى " صنهاجة, إحدى قبائل العرب[٢], وقد كانت هذه الأسرة تسكن ضواحى بلدة "صفروى"[٣] إلا أنه ولد بمدينة فاس عام ٦٧٢هـ = ١٢٧٤م ويكنى بابن اجروم , وهى الكنية التى تميزه عن غيره من النحاة , وكلمة آجروم تعنى بلغة البربر : الفقير الصوفى , وقيل : إن جده داود كان أول من عرف بهذا اللقب[٤] . كما أنه يكنى بأبى عبدالله , ويبدو أنه اكتسبها من ابن له يدعى عبدالله ولكن الذين ترجموا له -فيما وقع بين يدى -لم يذكروا لنا شيئاً عنه ولاعن زواجه أو أبنائه . كما أن نشأته يكتنفها الغموض , وإن كانت لاتخرج عن المألوف فى ذلك الزمان بأن يبدأ الصبى خطواته الأولى فى طريق العلم بحفظ القران الكريم ,مع شئ من مبادئ القراءة والكتابة , ثم دراسة العلوم الدينية من تلق للقراءات وحفظ للأحاديث , ودراسة للفقه , بالإضافة إلى الأدب وعلوم

اللغة .... وقد تتلمذ على يدى الإمام النحوى الشهير أبى حيان محمد بن يوسف الغرناطى المتوفى بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ - ١٣٤٥م) . فقد قيل إنه درس بفاس , ثم قصد مكة المكرمة حاجا , وهو عائد مر بالقاهرة فدرس على أبى حيان وأجازه , ثم عاد إلى فاس , وتصدر للتدريس , فكان يعلم النحو والقرآن بجامع الأندلس بفاس , وقد كان ملما بكثير من العلوم , فقد كان فقيها , وأديبا , وعالما بالرياضيات , ونحويا , ومتبحرا فى ضبط القراءات والتجويد حتى إنه ألف شرحا لمنظومة الشاطبى التعليمية فى القراءات والتجويد , بخلاف مصنفاته الأخرى وجملة أراجيزه فى هذين العلمين . وقد اشتهر بالبركة والصلاح , يدل على ذلك انتفاع كثير من الناس بمقدمته التى أضفت عليه شهرة واسعة , وبوأته مكانة رفيعة فى الدرس النحوى , ويقال إنه ألفها وهو بمكة مستقبلا الكعبة , فكتب الله لها الذيوع والانتشار حتى أصبحت ملء السمع والأبصار , وأقبل عليها طلاب العلم يحفظونها , ويدرسون شروحها . وقد أجمع الذين ترجموا له على أنه توفى بمدينة فاس فى يوم الأحد الموافق عشرين من شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة من الهجرة , ودفن بها فى الحى الأندلسى قريبا من باب الجيزيين الذى يعرف اليوم بباب الحمراء . ولم يشذ عن هذا التاريخ سوى ماذكره السخاوى فى " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " حين قال : قال لى بعض فضلاء المغاربة إن وفاته تقرب من سنة عشر وثمانمائة وفيه نظر[٥]. وواضح أنه لم يعتمد هذا القول , إذ يبتعد عن تاريخ وفاته الحقيقى بأكثر من ثمانين عاما , فضلا عن أن قائله مجهول بالنسبة لأهل العلم فلا يعول على قوله .

ولقد سبق كثير من النحاة ابن اجروم فى وضع مثل هذه المقدمة , إذ أقدم النحاة فى القرن الرابع الهجرى وما بعده على وضع المتون المختصرة, والنظومات , والأراجيز فى علم النحو , لتسهيل تعليمه, وتيسير حفظ أصوله وقواعده , بعد اتجاه الناس إلى طلب علوم العربية وإنكبابهم عليها , وكانت هذه المتون تتميز بالاختصار والدقة والإحكام , والشمول لكل أبواب النحو , والعرض السهل , والشواهد الواضحة , والأمثلة البسيطة التى يسهل على الدارس استيعابها , وقد خلت من التفريعات , والتعليلات ,

والخلافات المذهبية , والمسائل الافتراضية , التى وجدت فى كتب النحو المطولة , كالمقتضب للمبرد , والأصول لابن السراج , وشرح التسهيل لابن مالك , وشرح الكافية للرضى .... وكان من أوائل هذه الكتب التعليمية : الموجز فى النحو لابن السراج , والجمل لأبى قاسم الزجاجى -الذى اهتم به الأندلسيون حتى إنهم ألفوا عليه أكثر من عشرين شرحا- وكذلك الإيضاح فى النحو والتكملة فى الصرف وهما لأبى على الفارسى , واللمع لابن جنى . . . . وتوالت هذه الكتب التعليمية فى القرون التالية , حتى إذا ما جئنا إلى بداية القرن الثامن الهجرى وجدنا ابن آجروم يضع مقدمته التى اشتهرت بالأجرومية , والتى تعد من أشهر المتون النحوية التى وضعت للمبتدئين , فقد كانت مقدمة موجزة تضم أبواب النحو بأسلوب سهل , وتعرض المادة العلمية بدقة وإحكام , وقد اهتم كثير من العلماء بشرحها , وتعليق الحواشى على شروحها , مفسرين للدارسين ما غمض منها , ومفصلين لهم ما أجمل فيها , وقد تجاوزت هذه الشروح الستين شرحا , ووصل عدد الحواشى على أحد هذه الشروح -وهو شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) -ما يقارب العشرين حاشية , [٦] وقد ترجمت إلى عدة لغات , وطبعت عدة طبعات فى أوربا , بجانب طبعات فى البلاد العربية لا حصر لها , ولا توجد مكتبة فى العالم تضم مخطوطات عربية إلا بها نسخ منها .

المبحث الثانى:(مصطلحاته)

المصطلحات النحوية هى أعلام على معان وموضوعات يطلقها علماء النحو فيفهما المتلقون . ولم تظهر هذه المصطلحات كاملة ناضجة بالصيغ التى نعرفها اليوم , وإنما مرت بمراحل مختلفة -تماما كمسائل النحو -فبدأت بسيطة على يد الخليل بن أحمد الذى وضع مجموعة منها , كالرفع فى أواخر الكلمات المنونة , والضم فى أواخر الكلمات غير المنونة . . . وكالوقف والإمالة والتفخيم وغيرها , ثم نمت ونضجت واعتراها بعض التبديل والتغيير بعد ظهور المدرسة الكوفية التى نشأت بعد قرن من الزمان على نشوء المدرسة البصرية , وبدأت مصطلحات جديدة فى الظهور تميز

بها الكوفيون ، واتخذوها لقواعدهم ، مثل المكنى والكناية ويقصدون به الضمير أو المضمر عند البصريين ، ونحو المفسر أو التفسير الذى يسميه البصريون : التمييز ، والصفة أو المحل التى هى عند البصريين الظرف .... وبالنسبة لابن آجروم فقد تتبعت مصطلحاته التى استعملها فى مقدمته فوجدت أن المصطلحات التى كان فيها خلاف بين المذهبين كان يستخدم منها المصطلحات البصرية ولم يستعمل من مصطلحات الكوفيين سوى مصطلح واحد هو (الاسم المبهم) الذى يسميه البصريون : (اسم الإشارة) ، أما المصطلحات الخاصة بالكوفيين والتى ليس لها مقابل عند البصريين -مثل : الخلاف والصرف والخروج -فلم يستعمل منها شيئا ، مما يدل على أن وجهته كانت بصرية خالصة ، ومن أمثلة المصطلحات البصرية التى يستخدمها :

-مصطلح البدل الذى يسميه الكوفيون : الترجمة أو التبين أو التكرير أو المردود ، فهذه كلها مصطلحات لمسمى واحد عند البصريين هو البدل . يقول الفراء فى معانى القران (١/١٧٩) عند إعرابه لقوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت مَن استطاع إليه سبيلا) (آل عمران /٧٦) : " إن جعلت (مَنْ) مردودة على خفض (الناس) فهو من هذا " ، فهو يجعل (مَنْ) بدلا من (الناس) ولكنه يسمى البدل : مردودا . ويقول (١/٤١٨) عند قوله تعالى: (لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) (العلق/١٥,١٦): (ناصية) على التكرير كما قال : (إلى صراط مستقيم صراط الله) المعرفة ترد على النكرة بالتكرير والنكرة على المعرفة " ، فهو يسمى البدل تكرير أيضا . ويقول ثعلب فى مجالسه (١/٢٠) عند شرحه لقوله تعالى : (فذلك يومئذ يوم عسير)(المدثر/٩) : و(يوم عسير) ترجمة (يومئذ) " ، فهو يسمى البدل : ترجمة . وفى شرح الأشمونى : " وأما الكوفيون فقال الأخفش : يسمونه بالترجمة والتبين. وقال ابن كيسان : يسمونه بالتكرير.[٧] ولم يذكر ابن اجروم شيئا من هذه المصطلحات ، وإنما استعمل مصطلح البصريين صراحة . فقال ص٣٦: ٣٧ :" (باب البدل): إذا أبدل اسم من اسم أو فعل من فعل تبعه فى جميع إعرابه, وهو على أربعة أقسام: بدل الشئ من الشئ ، وبدل البعض من الكل ، وبدل الاشتمال ، وبدل الغلط

مصطلح الضمير أو المضمر , الذى يسميه الكوفيون : الكناية أو المكنى[٨] يقول الفراء فى معانى القران , عند قوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله) (البقرة/٨٥) : الهاء كناية عن القران" . ويقول ابن آجروم فى مقدمته ص٣٣ : " والمعرفة خمسة أشياء : الاسم المضمر, نحو : أنا ,وأنت , والاسم العلم ..."

مصطلح المنصرف وغير المنصرف , الذى يسميه الكوفيون : المجرى وغير المجرى . يقول القراء فى كتابة المذكر والمؤنث : والموسى يجرى ولا يجرى " , أى : يجوز فيها الصرف وعدمه , ويقول فى معانى القران (٤٢٨/١) عند قوله تعالى: (ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) (التوبة/٥): "تصبت المواطن لأن كل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان فهو لا يجرى" . ويخالفهم ابن آجروم ويستعمل مصطلح البصريين فيقول ص١٧: " فأما الكسرة فتكون علامة للخفض فى ثلاثة مواضع : فى الاسم المفرد والمنصرف , وجمع التكسير والمنصرف , وجمع المؤنث السالم ... وأما الفتحة فتكون علامة للخفض فى الاسم الذى لا ينصرف ".

مصطلح الظرف الذى يسميه الكوفيون : الصفة أو المحل[٩] يقول الفراء فى معانى القران (٢٨/١):" فإذا كان ما قبل الفاء اسما لا فعل فيه , أو محلا , مثل قوله : عندك , وعليك , وخلفك , أو كان فعلا ماضيا .." فهو يستعمل مصطلح المحل ويريد به الظروف[١٠] , والكسائى يسميه : الصفة[١١] ,

وابن آجروم لا دخل له بالمصطلحين , وإنما يستعمل مصطلح البصريين فيقول ص٢٨ :" المنصوبات خمسة عشر , وهى : المفعول به والمصدر وظرف الزمان وظرف المكان ..." , ويقول ص٣٧:" باب (ظرف الزمان وظرف المكان) ظرف الزمان هو اسم الزمان المنصوب بتقدير: (فى) ...".

مصطلح التمييز الذى يسميه الكوفيون : المفسر أو التفسير . يقول الفراء فى معانى القران(٧٩/١) :

والمفسر فى أكثر الكلام نكرة, كقولك : ضقت ذرعا..." فهو يستعمل مصطلح المفسر ويريد به التمييز , الذى هو مصطلح البصريين والذى يستخدمه ابن آجروم فيقول ص٣٧.٤١ :" المنصوبات خمسة عشر .... والحال والتمييز

والمستثنى.." ، ويقول صـ٤١ :" (باب التمييز) التمييز هو الاسم..." يميز بين علامات الإعراب والبناء ، فيجعل الرفع والنصب والجر والجزم للمعرب ، والضم والفتح والكسر والسكون للمبنى[١٢] ، خلافا للكوفيين الذين كانوا لا يفرقون بين ما هو للبناء وما هو للإعراب ، فيذكرون ألقاب الإعراب فى المبنى ، وألقاب البناء فى المعرب ، ولا يفرقون بينهما[١٣] فالفراء فى كتابه معانى القران نجده -مثلا -فى قوله تعالى : (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)(هود/٧١) يستعمل كلمة النصب ليدل بها على الفتح -علامة البناء -فيذهب إلى أن (يعقوب) وجهها الرفع ولكن القراءة بالنصب ، فيقول: " ومن نصب نوى به النصب " ، وهو يقصد: من فتح ، لأن حركة الباء بالفتح ، فالاسم فى موضوع نصب على الاتباع أو تقدير فعل ، وعلامة هذا النصب الفتحة لأنه ممنوع من الصرف[١٤]

يستخدم مصطلحات المفعولات المختلفة[١٥]، خلافا للكوفيين الذين لا يعترفون من المفاعيل إلا بالمفعول به ، ولا يرون ما يعرفه البصريون من (المفعول معه) ، و(المفعول لأجله) و (والمفعول المطلق) ، وإنما يرون أن الفعل له مفعول واحد هو المفعول به ، وباقى المفاعيل عندهم ليس شئ منها مفعولا ، وإنما شبه بالمفعول[١٦]

وأحيانا يستخدم مصطلح المذهبين : فتارة يستخدم مصطلح الجار والمجرور والجر ، وتارة أخرى يستخدم مصطلح الخافض والمخفوض والخفض[١٧] ، والمشهور أن الأول للبصريين ، والثانى للكوفيين[١٨] ، وإن كان المصطلحان من وضع الخليل ومصطلحا ته ، غير أن الكوفيين توسعوا فى الخفض فاستعملوه فى المنون وغير المنون.[١٩]

يستعمل مصطلح (النعت) ، وبعضهم يرى أنه مصطلح كوفى يقابله عند البصريين (الصفة) ، والأمر بخلاف ذلك ، فهو مصطلح يكاد يكون بصريا مولدا ونشأة ، فقد تكرر وروده فى كتاب سيبويه بجانب مصطلح (الصفة) مما يدل على أنه ليس خاصا بالكوفيين ، بل إن الفراء استعمل المصطلحين: (النعت) (الصفة) ولكن الأول بكثرة[٢٠] ، فقد قال فى معانى القرآن(١/٧) فى قوله تعالى :

(غير المغضوب عليهم)(الفاتحة/٧):" بخفض (غير) لأنها نعت للذين لا للهاء والميم من (عليهم), وإنما جاز أن تكون (غير) نعتا لمعرفة , لأنها قد أضيفت إلى اسم فيه ألف ولام " . وقال(٢/٢٠٦)

في قوله تعالى: (وهذا ذكر مبارك أنزلناه)(الأنبياء/١٥) : " والمبارك رفع صفة الذكر " . وكثير من النحاة المتقدمين والمتأخرين استعمل المصطلحين, ولكن مصطلح (النعت) كان هو الأكثر استعمالا في كتب النحاة حتى الذين يعدون ضمن المذهب البصرى.(٢١)

والمصطلح الوحيد الذى استعمله من الكوفيين هو (الاسم المبهم) الذى يسميه البصريون : (اسم الإشارة)(٢٢) , واستخدام مصطلح واحد منهم لا يعنى أنه يذهب مذهبهم فيعد منهم , لأن كثيرا من المصطلحات الكوفية ترددت فى كتب البصريين : فمثلا المبرد أطلق على التمييز اسم التبيين , والتفسير , والمبين , والمفسر وابن السراج استخدم فى كتابة الأصول : الحجد , والمفسر(٢٣)والنسق,والمكنى(٢٤) وكلها مصطلحات كوفية ولم يعد من الكوفيين , بل إن سيبويه سمى فى كتابة أسماء الإشارة بالأسماء المبهمة , وفى كل ما سبق يتضح لنا أنه بصرى النزعة : فبالنسبة للمصطلحات التى اختلف فيها المذهبان رأيناه يستخدم المصطلحات البصرية, ولم يستعمل من المصطلحات الكوفية سوى مصطلح الاسم المبهم , وهذا لا يدخله فى دائرة الكوفيين . وبالنسبة للمصطلحات الكوفية الخالصة مثل: الخلاف , والصرف , والخروج , لم يرد شئ منها فى مقدمته , مما يؤكد نزعته البصرية , التى ستتضح أكثر فى المبحث الثالث عندما نرى أنه سار على نهج البصريين فى كثير من المسائل التى كان فيها خلاف بين المذهبين.

المبحث الثالث: المسائل الخلافية

اختلف المذهبان : البصرى والكوفى فى كثير من المسائل النحوية بسبب اختلافهم فى طريقة دراستها ومعالجة قضاياها ، ودراسة هذه المسائل تعين على معرفة اتجاه النحوى الذى كان يسلكه ومذهبه الذى كان يستمد منه مباحثه . وبالنسبة لابن آجروم فإنه قد تابع البصريين فى كثير من هذه

المسائل الخلافية مما يؤكد انه بصرى المذهب ، ومن هذه المسائل :

(إنَّ) وأخواتها تنصب اسمها وترفع خبرها ، نحو : "إنَّ زيداً كريمٌ " ، وذهب الكوفيون إلى أنها لا ترفع الخبر، وإنما هو باق على رفعه الأول واحتجوا على ما ذهبوا إليه بأن هذه الأحرف تشبه الفعل ، وبهذه المشابهة تكون فرعا عليه ، وبالتالى فهى أضعف منه لأن الفرع دوما يكون أضعف من الأصل ولذا يجب ألا تعمل فى الخبر ، حتى لا تتساوى مع الأصل ، وعلى هذا فالخبر باق على رفعه الأول قبل دخولها . أيضا لا يجوز لنا أن نقول : "إنَّ كريمُ زيداً " ، ولو كان الخبر معمولها لجاز أن يليها، ولما امتنع هذا بالإجماع دل على أن الخبر ليس بمعمول لها . واحتج البصريون على ما ذهبوا إليه بأن هذه الأحرف عملت فى الخبر، لأنها أشبهت (كان) الناقصة فى لزوم دخولهن على المبتدأ والخبر والاستغناء بهما ، فعملن عملها معكوسا ، ليكون المبتدأ والخبر معهن كمفعول مقدم وفاعل مؤخر تنبيها على الفرعية[٢٥] وتابع ابن آجروم البصريين فيما ذهبوا إليه ، فقال " أما (إنَّ) وأخواتها فإنها تنصب الاسم وترفع الخبر"

الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى أن الاسم المبهم أعرف من الاسم العلم لأنه يعرف بشيئين : بالعين والقلب , فقد ذهب البصريون إلى أن الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم –أى : اسم الإشارة – فترتيب المعارف كما يلى: أعرف المعارف الاسم المضمر، إذ لا يضمر إلا و قد عرف، و لذا لا يحتاج إلى وصف كغيره من المعارف . ثم العلم إذ الأصل فيه أن يوضع على شىء لا يقع على غيره من نوعه . ثم الاسم المبهم ،لأنه يعرف بالعين والقلب ثم الاسم الذى فيه الألف واللام، لأنه يعرف بالقلب فقط. ثم ما أضيف إلى أحد من هذه المعارف ، لأن تعريفه من غيره ، و على قدر ما يضاف إليه . و ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المبهم اعرف من الاسم العلم لأنه يعرف بشيئين بالعين وبالقلب أما الاسم العلم فانه يعرف بالقلب وحده ، وما يعرف بشيئين ينبغى أن يكون أعرف مما يعرف بشىء واحد . كما أن الاسم العلم يقبل التنكير ، كما فى قولنا : (مررت بزيد العاقل وزيد آخر"،بخلاف الاسم المبهم الذى لا يقبل التنكير و ما لم يقبل التنكير اعرف مما يقبل التنكير. ورد عليهم البصريون بأن الأصل فى الاسم

العلم أن يوضع لشيء بعينه لا يقع على غيره، فلا يكون له مشارك فأشبه ضمير المتكلم ، وكما أن ضمير المتكلم أعرف من الاسم المبهم فكذلك ما أشبهه[٢٦] وتابع ابن آجروم البصريين فيما ذهبوا إليه فقال في مقدمته صـ٣٠:٣٣: (والمعرفة خمسة أشياء : الاسم المضمر نحو أنا وأنت ، والاسم العلم نحو : زيد ومكة , والاسم المبهم نحو : هذا وهذه وهؤلاء , والاسم الذى فيه الألف واللام نحو الرجل والغلام، وما أضيف إلى واحد من هذه الأربعة"

الفاعل هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله ، ولا يجوز تقديمه على فعله مع بقاء فاعليته ، خلافا للكوفيين الذين أجازوا ذلك إذ ذهبوا إلى جواز تقديم الفاعل مع بقاء فاعليته تمسكا بقول الزبّاء :

(ما للجمال مشيها وئيداً) حيث رفع (مشيها) على انه فاعل لـ (وئيدا) الصفة المشبهة الواقعة حالا ولا يصح كونه مبتدأ لعدم وجود خبر له في اللفظ إلا (وئيدا) وهو منصوب على الحال فتعين أن يكون فاعلا بـ (وئيدا) مقدما عليه ولكن البصريين أولوا هذا الشاهد على أن (مشيها) مبتدأ حذف خبره لسد الحال مسده والتقدير : مشيها يظهر -أو : يكون -وئيدا . وتظهر ثمرة الخلاف بين المذهبين في التثنية والجمع ، فالبصريون يقولون مثلا: "الزيدان قاما"، "والمحمدون قاموا ، والكوفيون يقولون : الزيدان قام، والمحمدون قام . بالإفراد فيهما ، وهذا لا يجوز عند البصريين[٢٧] . وقد تابع ابن آجروم البصريين في هذه المسألة دون أن يصرح أو يشير الى الخلاف وإنما وضح ذلك من خلال تعريفه للفاعل إذ قال صـ١٦ " الفاعل : هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله"

المستثنى في الكلام التام غير الموجب نحو: " ما قام أحد غلا زيد" يعرب تابعا للمستثنى منه على انه بدل بعض من كل ، خلافا للكوفيين الذين أعربوه عطف نسق لأن (إلا) عندهم من حروف العطف في الاستثناء خاصة . وقد اعترض أبو العباس ثعلب على رأى البصريين قائلا : كيف يكون بدلا وهو موجب ومتبوعه منفي والبدل يجب أن يكون مطابقا للمبدل منه إثباتا ونفيا وأجاب بعض البصريين كالسيرافي بأنه بدل منه في عمل العامل فيه، وتخالفهما في النفي والإيجاب لا يمنع البدلية لأن سبيل البدل أن

يجعل الأول كأنه لم يذكر والثانى فى موضعه ، وقد يتخالف المنعوت والنعت نفيا وإثباتا ، نحو :" مررت برجل لا كريم ولا شجاع " كما أن بدل البعض يكون الثانى فيه مخالفا للأول فى المعنى كما فى قولنا: " رأيت القوم بعضهم" ، فقولى أولا: "رأيت القوم"مجاز، ثم بينت بعد ذلك من رأيت منهم[٢٨] وقد تابع ابن آجروم البصريين فيما ذهبوا إليه ، فقال صـ ٤٢ ، ٤٣ :" فالمستثنى بألا ينصب إذا كان الكلام تاما موجبا نحو قولك : قام القوم إلا زيدا ، وخرج الناس إلا عمرا وإن كان الكلام منفيا تاما جاز فيه البدل والنصب على الاستثناء نحو قولك : ما قام أحد إلا زيد ، وإلا زيدا.."

لا يكون التمييز إلا بعد تمام الكلام ، فلا يتقدم على عامله ، خلافا للكوفيين الذين أجازوا تقديمه على عامله المنصرف . فقد ذهب البصريون إلى عدم جواز تقديم التمييز على عامله المنصرف ، نحو " تصبب زيد عرقا " ، " وحسن زيد غلاما " ، وتابعهم ابن آجروم فى ذلك ، فقال صـ ٤١: "التمييز هو الاسم المنصوب المفسر لما انبهم من الذوات ، نحو : تصبب زيد عرقا ، وتفقأ بكر شحما ، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام. وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك محتجين بالسماع والقياس : فمن السماع قول الشاعر :

(أتهجر سلمى بالفراق حبيبها ... وما كان نفسا بالفراق تطيبُ)

فقد قدم التمييز (نفسا) على عامله المنصرف (تطيب) . ومن القياس على اعتبار أن هذا العامل فعل منصرف فيجوز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المنصرفة التى يجوز تقديم معمولها عليها ، نحو: زيدا ضرب محمد، مبتسما جاء بكر واحتج البصريون على ما ذهبوا إليه بأن التمييز المنصوب بفعل متصرف فى مثل قولنا : " تصبب زيد عرقا" ، " وحسن بكر غلاما" ، هو الفاعل فى المعنى -فالمتصبب هو العرق والذى حسن هو الغلام وليس بكرا -وقد حول الإسناد عنه إلى غيره لقصد المبالغة فلا يغير عما كان يستحقه من وجوب التأخير لما فيه من الإخلال بالأصل . وأيضا لأن التمييز يشبه النعت فى الإيضاح ، والنعت لا يتقدم على عامله فكذلك ما أشبهه[٢٩]

الأفعال ثلاثة: ماض ومضارع وأمر، خلافا للكوفيين والاخفش الذين ذهبوا إلى أنهما قسمان فقط : ماض ومضارع ، وأما الأمر فانه مقتطع من المضارع وليس أصلا برأسه ، فهم يرون أن الأمر أصله فعل مضارع

ودخلت عليه لام الجزم فالجزم بها ثم استثقلوا مجيء اللام فيه لكثرة دوراته على الألسنة فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف [٣٠]

جمع المؤنث السالم ينصب بالكسرة خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى جواز نصبه بالفتحه مطلقا ، وقد رأى البصريون أنه ينصب بالكسرة مع تأتى الفتحة ليجرى على سنن أصله وهو جمع المذكر السالم فى حمل نصبه على جره [٣١] .

(كان) وأخواتها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى انه باق على رفعه الأول ، وعلى مذهبهم يلزم أن يكون الفعل ناصبا غير رافع ، وهذا لا نظير له مما يقوى مذهب البصريين وثمرة الخلاف تظهر فى نحو قولنا : "كان زيد قائما وعمرو جالسا " فلا يجوز مثل ذلك عن الكوفيين، لأنه يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين، ويجوز عند البصريين لأن العامل عندهم واحد[٣٢]

الجزء الثانى المنصوب بعد (كان) وأخواتها منصوب على انه خبر لها خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى انه منصوب على الحال والبصريون محقون فيما ذهبوا إليه لأن خبرها لا يستغنى عنه وقد يرد مضمرا ومعرفة وجامدا ، وليست هذه أمور للحال[٣٣].

(لا) النافية للجنس إذا كان اسمها مفردا فإنه يكون مبينا ، خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى أنه معرب . فقد قالوا: إن حركة اسم (لا) إعراب وحذف تنوينه تخفيفا[٣٤].

الحال لايكون إلا نكرة خلافا للكوفيين الذين أجازوا مجيئها معرفة ، واشترط البصريون ذلك لأن الغالب فيها أن تكون مشتقة ويكون صاحبها معرفة ، فلو أتت معرفة توهم كونها نعتا إذا كان صاحبها منصوبا وحمل غيره عليه[٣٥] .

التمييز واجب التنكير خلافا للكوفيين الذين أجازوا مجيئه معرفة مستدلين على صحة ذلك بشواهد منها قوله تعالى : (إلا من سفه نفسه) البقرة / ١٣٠ ، وقوله (بطرت معيشتها) القصص/٥٨، وقول العرب :" وجع زيد بطنه) .... وقد تأول البصريون هذه الشواهد[٣٦] .

(حتى) حرف عطف خلافا للكوفيين الذين أنكروا العطف بها وذهبوا إلى أنها حرف ابتداء وما بعدها معرب بإضمار عامل[٣٧].

المنادى المفرد العلم مبنى على ما يرفع به ، خلافا للكوفيين الذين ذهبوا إلى انه معرب مرفوع بدون تنوين ، ورد عليهم بأنه لو كان معربا لكان منصوبا لأنه مفعول فى اللفظ أو فى المعنى ولم يحذف تنوينه كما لم يحذف تنوين النكرة غير المقصودة[٣٨].

أما المسائل التى تابع فيها الكوفيين فهى ما يلى :

فعل الأمر معر بمجزوم خلافا للبصريين الذين ذهبوا إلى انه مبنى . فالكوفيون يرون أنه معرب مجزوم بلام الأمر ، وحذفت منه مع حرف المضارعة تخفيفا فالأصل فى (قم) و(اقعد) : (لتقم) و(لتقعد)، وعلل البصريون بناءه بزوال مقتضى الإعراب منه وهو حرف المضارعة وابن آجروم ليس وحده من نجاة عصره الذى تابع الكوفيين فى هذه المسألة فقد تابعهم ابن هشام صراحة فى المغنى حيث قال :" وبقولهم أقول لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف، ولأنه أخو النهى ولم يدل عليه إلا بالحرف...." [٣٩]

(كيفما) يجازى بها كما يجازى بـ (متما) و(أينما) .. خلافا للبصريين الذين ذهبوا إلى عدم جواز ذلك لأنها لا يجوز الإخبار عنها ولا يعود إليها ضمير كما فى (من) و(ما) و(أى) و(مهما) ، كما أن جوابها لا يكون إلا نكره – وباقى أخواتها يكون جوابها نكرة ومعرفة ، فلما قصرت عن نظائرها ضعفت عن تصريفها فى مواضع نظائرها من المجازاة[٤٠].

الجر لـ (رب) المحذوفة خلافا للبصريين الذين ذهبوا إلى انه لواو (رب)[٤١]

نواصب المضارع عشرة هى : أن ، ولن ، وإذن ، وكى ، ولام كى ، ولام الجحود ، وحتى ، والفاء ، والواو ، وأو[٤٢] فقد جعل الأحرف (الفاء والواو وأو وحتى واللام)، هى الناصبة للمضارع بنفسها

وهو فى هذا يتفق مع الكوفيين –غير الفراء –الذين ذهبوا إلى أنها ناصبة للمضارع بنفسها (إلا الفاء) فإن المضارع ينصب بعدها على الخلاف وذهب الفراء إلى أن المضارع بعد الواو ينتصب على الصرف [٤٣] وذهب البصريون إلى أن الناصب للمضارع بنفسه أربعة فقط (أن) و(لن) و(إذن) و(إلى)، وبقية الأحرف ينتصب المضارع بعدها بـ (أن) المصدرية

المقررة: وقد استدل الكوفيون على ما ذهبوا إليه بأن (حتى) تكون بمعنى (كى) و (كى) تصنف بمعنى (إلى) فتقوم حينئذ مقام إلى أن) و (أن) تعضب , وكذلك (لام التعليل) تدل على معنى (كى) فيجب أن تأخذ حكمها فتنعبس بنفسها , وخالفهم البصريون فيما ذهبوا إليه محتجين بأن (حتى) من عوامل الأسماء فلا تكون من عوامل الأفعال , وردوا قياس الكوفيين (اللام) على (كى) بأن اللام تكون حرفى جرائم وهى دالة على التعليل أيضا وليس حمل اللام عليها فى حال النصب بأولى من حملها عليها فى حال الجر وقد اتفق ابن اجروم مع الجرمى من البصريين فى جعل (الفاء) و (الواو) ناصبين للمضارع بنفسها وخالف بقية البصريين الذين ذهبوا إلى أن المضارع بعدهما منصوب بأن المضمرة لأن الأصل فى الواو أن تكون حرف عطف والأصل فى حروف العطف ألاتعمل لأنها غير مختصة إذ تدخل تارة على الاسم وتارة على الفعل . وخالف أيضا الكوفيين الذين ذهبوا إلى أن المضارع ينتصب بعد فاء السببية على الخلاف وبعد واو المعية على الصرف(٤٤)

وفى كل ما سبق يتضح لنا عن يقين وقوف ابن اجروم إلى جانب البصريين, وتأثره بهم , واستمداد كثير من مباحثه النحوية من أصولهم وجوانبهم . ولم يمنعه ميله إلى جانبهم والأخذ بآراء علمائهم من الوقوف مع الكوفيين فى بعض المسائل حينما كان يرى أن الحق معهم , لكن تأييده لهم كان قليلا جدا إذا ماقورن بتأييده للبصريين , فقد وقف معهم فى ثلاث مسائل كما رأينا, بينما وقف مع البصريين فى أربع عشرة مسألة أى بنسبة ٨٥% من مجموع المسائل التى وردت فى مقدمته وكان فيها خلاف بين المذهبين , وهذا يؤكد أنه بوجه عام بصرى المذهب , للبصريين فى الدراسة النحوية وليس كما زعم السيوطى فى بغيته من أنه توفى , ولاغرابة فى ذلك , فالمذهب البصرى هو الذى كتبت له السيادة والشيوع فى القرون المتأخرة .

خاتمة:

بعد دراسة مقدمة ابن اجروم التى تعد أشهر كتبه دراسة تحليلية اتضح لنا أن صاحبها كان أشد تأثرا بالبصريين من الكوفيين , إذا كان ينزع كثيرا إلى الأخذ بآراء البصريين : يتكلم بمصطلحاتهم , ويسير سيرهم فى

كثير من المسائل التى اختلف فيها المذهبان . وإذا كان قد وافق الكوفيين فى بعض المسائل نشأته فى هذا شأن جل النحاة المتأخرين : يأخذون من المذهب البصرى عامة ومن الكوفى أحيانا قليلة ...

الهوامش :

(١)انظر ترجمته فى : بغية الوعاة ١ / ٢٣٨ : ٢٣٩ و شذارات الذهب لابن العماد ٦ / ٦٢ , الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع للسخاوى ٩ / ٨٢ : ٨٣ , الأعلام للزركلى ٧ / ٢٦٣ , دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٩٠ : ١٩٣ (ط دار الشعب مادة ابن اجروم) , تاريخ الأدب العربى ٧ / ٤١٢

(٢)فى القاموس المحيط مادة (صيخ) : " صنهاجة بكسر الصاد " , وفى تاج العروس ٢ / ٦٧ :" قال ابن دريد : بضم الصاد ولايجوز غيره ", وزاد الزبيدى : " وأجاز جماعة الكسر , وقال شيخنا : والمعروف عندنا الفتح خاصة فى القبيلة , لا يكادون يعرفون غيره "

(٣)وقد ترجم له السخاوى صاحب الضوء اللامع فى تاريخه الكبير فيمن لم يسم جده مما ينازع فيه٨٣ / ٩

(٥)الضوء اللامع ٩ / ٨٣

(٦)انظر بعض هذه الشروح والحواش فى تاريخ الأدب العربى لبرو كلمان ٧ / ٤١٢

(٧)انظر ٢ / ٤٣٥ وكذلك ٢ / ٢٦١ , والمدرسة الكوفية ص ٣١٠

(٨)انظر مجالس ثعلبى ص ٣٣٢ , وشرح المفصل ٣ / ٨٢ , والمدرسة الكوفية ص ٣١٤

(٩)انظر الانصاف ١ / ١٥ , والمدرسة الكوفية ٣٠٩ : ٣١٠

(١٠)وانظر ايضا ١ / ٣١ , ٣٧٥

(١١)انظر المذكر والمؤنث للفراء ص ١٠٩ الهامش .

(١٢)انظر الاجرومية ص ١١ , ١٢ , ٤٤ .

(١٣)انظر شرح ابن يعيش ١ / ٧٢ , وشرح الكافيه للرضى ٢ , ٣ , والمدرسة الكوفية ص ٣١٥.

(١٤)وانظـــر معـــانى الفـــراء الفـــراء ١ / ١٣٦ , ٢٢٤ , ٢ / ١١٧ , ١٥٤, ٣ / ١٠ , ١١٥ ...

(١٥)انظر المقدمة ص ٣٧ , ٤٤ , ٤٥ .

(١٦)انظر الهمع ١ / ١٦٥

(١٧)انظر المقدمة ص ١٩ , ٢٨ , ٣٥ , ٤٦ .

(١٨)انظر الانصاف فى المسألة رقم (١٠١) , وشرح المفصل ٤/٧٤

(١٩)انظر السابق

(٢٠)انظر معانى الفراء ١ / ٤٤ , ٥٥ , ٢ / ١٤٠ , ١٤٦ , ٣ / ٩٠

(٢١)انظر الهمع٢ / ١١٦ , والمدرسة الكوفية ص ٣١٤ .

(٢٢)الاجروميـــة ص ٣٢ , ٣٣ , ٣٧ , وانظـــر الـــهمع ٢ / ١١٦ , والمدرسة الكوفية ص ٣١٤

(٢٣)انظر المعتضب ٣ / ٣٢٠ , ٣٦

(٢٤)انظر الأصول ١ /١٦٨ , ٢ / ٩٢ , ١٩١ , ١٩٢ , ٢٠٣ .

(٢٥)انظر الانصاف ١ / ١٧٦ , والهمع ١ / ١٣٤

(٢٦)انظر الانصاف ص ٧٠٧ والأشمونى ١ /١٥٧ , ١٠٧ .

(٢٧)انظر التصريح ١ /٢٧١ , والأشمونى ٢ / ٤٦ , والهمع ١ / ٥٩ .

(٢٨)التصريح ١ / ٤٣٩ , والأشمونى ٢ / ١٤٥ , والهمع ١ / ٢٢٤ .

(٢٩)انظر الانصاف ٢ / ٨٢٨ , والمقيـــض ٣ / ٣٦ , والتصريـــح ١ / ٤٠٠ والأشباب والتطائر , ٢٢٨ / ٢والأشمونى ٢ / ٢٠٠

(٣٠)انظر الاجرومية ص ١٩ , ٢٠ , والانصاف / ٥٢٤ , والتصريـــح ١ /٤٤ , والأشمونى ١ / ٥٧

(٣١)انظر التصريح ١ / ٨٠ , والهمع ١ /٢٢ , والاشـــمونى ١ / ٩٣ , والمقدمة الأجرومية ص١٩

(٣٢)انظر الانصاف ٢ / ٨٢١ , والتصريـــح ١ / ١٨٤ , والـــهمع ١ / ١١١ , والاشمونى ١ / ٢٢٦ , والمقدمة ص٢٩

(٣٣)انظر السابق نفس الموضوع .

(٣٤)الانصاف ١ / ٣٦٦ , والتصريح ١ / ٢٣٩ , والمقدمة ص٤٤

(٣٥)التصريح ١ / ٣٧٣ , والهمع ١ / ٢٣٩ , والأشـــمونى ٢ / ١٧٢ ,

والمقدمة ص ٤١

(٣٦)المقتضب ٣ / ٣٢ , وشرح الكافية ١ / ٢٢٣ , والتصريح ١ / ٣٩٤ , والهمع ٢٥٢/١ , والأشمونى ١٨٢/١ , والمقدمة ص ٤٢

(٣٧)انظر التصريح ٢ / ١٤١ , والمقدمة ص ٣٤ .

(٣٨)انظر المقتضب ٤ / ٢٠٤ , ٢٥٠ , وشرح المفصل لابن عشير ١ / ١٢٩ , والتصريح ٢ / ١٦٧ والهمع ١٧٢/١ , والأشمونى ٣ / ١٣٨ , والمقدمة ص ٤٤ .

(٣٩)انظر المغنى ١٨٩/١، والانصاف ٢ / ٥٢٤ , والتصريح ١ /٥٥ , والهمع ١ / ١٥ , والأشمونى ١ /٥٩ ، والمقدمة ص٢٠.

(٤٠)انظر المقدمة ص ٢٥ والانصاف ٢ / ٦٤٣ . والأشمونى ٤ / ١٤

(٤١)انظر المقدمة ص٢١ والانصاف المسألة (٥٥). والمرادى ص ٤٤٣.

(٤٢)انظر المقدمة ص ٢١ : ٢٣

(٤٣)معانى القران للفراء ١ / ٣٣ , ٣٤ ومعنى الصرف عنده : أن تأتى بالواو معطوفة على كلام فى أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ماعطف عليها كقول الشاعر : " لاتنه عن خلق وتأتى مثله "

(٤٤)انظر الانصاف ٢ / ٥٥٥ , ٥٥٧ , ٥٧٥ , والتصريح ٢٣٦/٢ , ٢٣٨, ٢٤٣, والأشمونى٢٩٢/٣, ٢٩٨, ٣٠٦, والرضى٢/ ٢٢٣ .

المصادر والمراجع :

١- الأشباه والنظائر فى النحو لجلال الدين السيوطى -تحقيق طه عبد الرءوف سعد -مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٧٥ م .

٢- الأصول فى النحو لابن السراج -تحقيق عبد الحسين الفتلى -مطبعة النعمان -النجف ١٩٧٣

٣- الأعلام لخير الدين الزركلى -القاهرة -الطبعة الثانية ١٩٥٤.

٤- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والكوفيين لابى البركات بن الانبارى -تحقيق محمد على الدين عبد الحميد -القاهرة ١٩٨٢

٥- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى -تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم -دار الفكر الطبعة الثانية ١٩٧٩.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مرتضى الزبيدى -طبعة القاهرة ١٣٣٠ هـ .

٧- تاريخ الأدب العربى تأليف كارل بروكلمان -أشرف على ترجمته د. محمود فهمى حجازى -طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥

٨- دائرة المعارف الإسلامية طبعة دار الشعب (مادة ابن اجروم) .

٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى -مطبعة المقدسى -القاهرة ١٣٥٠هـ .

١٠- شرح الأشمونى على اكفية ابن مالك مع حاشية الصبان -طبع عيسى البابى الحلبى .

١١- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى طبع عيسى البابى الحلبى .

١٢- شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى -دار الكتب العلمية -بيروت -الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

١٣- شرح المفصل لابن يعيش -القاهرة مطبعة المنيرية ١٩٣١م.

١٤- الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع للسخاوى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٥- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز ابادى -طبعة دار الشعب .

١٦- الكتاب لسيبويه تحقيق عبدالسلام محمد هارون -القاهرة ١٩٧٧م .

١٧- مجالس ثعلب لأبى العباس ثعلب -تحقيق عبدالسلام هارون -دار المعارف مصر ١٩٦٠.

١٨- مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو -تأليف د. مهدى المخترومى -مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى -طبعة ثانية ١٩٥٨م.

١٩- المذكر والمؤنث للفراء -تحقيق د. رمضان عبدالتواب -مكتبة دار التراث ١٩٧٥م.

٢٠- معانى القران للفراء -تحقيق الشيخ محمد على النجار واخرين - عالم الكتب -الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٢١- مغنى اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى، وبهامشه حاشية الأمير، طبع عيسى البابى الحلبى، القاهرة.
٢٢- المقتضب لأبى العباس المبرد -تحقيق -محمد عبدالخالق عضيمه - القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٨هـ .
٢٣- المقدمة الأجرومية مع حاشية العشماوى -طبع عيسى البابى الحلبى.
٢٤- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى -القاهرة ١٣٢٧هـ.